

سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية

٣

النظرة الإسلامية في

الاستطاع والامن
ومقاومة الجاسوسية



اللواء الركن

محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الأحياء

دار الإعتصام

٨ شارع حسين حجازي - تليفون ٣١٧٤٨/٢٦٠٣١ - ص.ب ٤٧٠ - القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع

الخطية الإسلامية

٢٠١

الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية

سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية

النَّظَرِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

٩٠

الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية

محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الأحياء





اللواء أركان حرب
محمد جمال الدين على محفوظ

✽ ولد في أغسطس ١٩٢٢ ميلادية ووالده علم من علماء الأزهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ الوعظ والارشاد .

✽ مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاهما في وظائف القيادة والتدريس والأركان والإدارة العليا والتوجيه المعنوي والحرب النفسية والاعلام . وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ م .

✽ تخرج في كلية القادة والأركان في مصر وحصل على دراسات عسكرية عليا في أكاديمية ناصر العسكرية

✽ حصل على نورات دراسية في كثير من المعاهد
الأجنبية لأمريكا وانجلترا وروسيا .

✽ حصل على ماجستير في العلوم السياسية من
جامعة القاهرة .

✽ عمل مدير التوجيه المعنوي بعد حرب يونيو
١٩٦٧ م فكان من أبرز أعماله أنه أقام منهج إعادة الروح
المعنوية على أساس منهج الإسلام .

١ - فجعل « الجهاد في سبيل الله » هي عقيدة
القتال للجيش .

٢ - وجعل « النصر أو الشهادة » هي شعار
الجيش .

٣ - وجعل « الله أكبر » هي صيغة القتال .

٤ - وجعل لعلماء الدين ووعاظ الجيش دورا كبيرا
في معاشية الجيش وربط نشاط رجاله في السلم والحرب
بالدين وقد كان هذا المنهج من أهم أسباب النصر في حرب
رمضان .

✽ المؤلفات العلمية والكتب :

له أكثر من ٢٠ كتابا في العلوم العسكرية وفي القيادة
العسكرية وأساليب التعليم والإدارة العلمية وفي التوجيه

المعنوى وما زال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة في
الجيش المصرى .

✽ تخصص في دراسة العسكرية الاسلامية منذ اكثر
من ربع قرن ووضع فيها عدة كتب وابحاث ومقالات في
المجالات الاسلامية في مصر والعالم العربى كما قدم عددا
من الاحاديث الدينية في الاذاعة والتليفزيون وخاصة
برنامج «تور على نور» وشارك في اعمال المؤتمر الاسلامى
الدولى الذى عقد في لندن في فبراير ١٩٧٩ حول الدفاع
والعالم الاسلامى ببحث عنوانه « الفكر العسكرى في
الاسلام » والمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية
الذى عقد في الدوحة (دولة قطر) في نوفمبر ١٩٧٩ .

✽ يحمل لواء الدعوة الى احياء امجاد العسكرية
الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية

✽ ومن احدث مؤلفاته :

- ١ — كتاب « الدخلى الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية » .
- ٢ — كتاب « تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية » .
- ٣ — كتاب « العسكرية الاسلامية ونظريات العصر » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سبقت حكمته أن تكون الأمة الإسلامية ،
أمة قوية مرهوبة الجانب فأوجب عليها الجهاد في سبيله ،
وأمرها بأعداد القوة والرابطة التي ترهب الأعداء وتخيفهم
من عاقبة عدوانهم ، كما في قوله جل شأنه : « وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم » (الحج : ٧٨) وفي قوله سبحانه :
« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم » (الأنفال : ٦٠) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المجاهدين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ..

● فإن الإسلام ، كما نظم أمور الحياة دنیا ودينا ، قد نظم
أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها المبادئ
والنظريات الأساسية ، التي قامت عليها أول مدرسة عسكرية
في تاريخ العرب مكتملة الأركان وتحتوى على المبادئ والنظريات
التي تقوم عليها أية مدرسة عسكرية شرقا أو غربا .

• وعلى أساس هذه المبادئ والتطبيقات ، قامت الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، التي طاقها المسلمون الأوائل في معاركهم التي خاضوها اعلاء لكلمة الله وواجهوا بها أعداء يفوقونهم في العدد والعدة ، فانتصروا عليهم بآذن الله ، وامتدت فتوحاتهم في أقل من مائة عام من الصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، وهزموا في المعركة البحرية — وهم أبناء الصحراء — أسطول بيزنطة أقوى أساطيل زمانه .

• ثم تعرض العرب والمسلمون — يوم تخلوا عن الجهاد — لحرب حضارية استهدفت طمس معالم حضارتهم وفرض الشيعة عليهم حتى أصبح العسكريون في كثير من دول العرب والإسلام يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية ، وأعمال القادة الأجانب ، والتأريخ العسكري للدول الأجنبية ، وكأنه ليس العرب والمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكري يستحق الدراسة !! .

• أن التكليف القرآني بالجهاد ، وباعداد القوة والمرابطة ، تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة .

ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة الإسلامية عن اعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بكل أسباب التقدم والتطور التي تفرضها طبيعة العصر .

• فواجب الأمة العربية الإسلامية — وهي تتجه نحو

النهضة الحضارية الشاملة — أن تتخذ من مبادئ العسكرية الإسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية .

● فان من أهم ما تتميز به تلك المبادئ أن لها — بحكم انبثاقها من الدين — من الأصالة ، ما للدين من أصالة ، وأن لها — في كل عصر — من القوة والصحة والكمال ، ما يجعل الجيوش التي تعمل بها — قوى لا تقهر بانز الله .

● ومن أجل ذلك سوف نتناول النظريات العسكرية الإسلامية بالعرض والدراسة بحيث تصدر على هيئة سلسلة تختص كل حلقة منها بأحدى هذه النظريات .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها العرب والمسلمين وأن يوفقنا جميعا إلى كل ما فيه عز الإسلام والمسلمين .

لواء

محمد جمال الدين محفوظ

٣٠ ش الشهيد عبد المنعم اسماعيل — المظلة — مصر الجديدة

الاستطلاع الحربى

- سرية عبد الله بن جحش والظروف الاستراتيجية في شبه الجزيرة .

- أركان النظرية الاسلامية في الاستطلاع .

- ١ — الاستطلاع ضرورة حيوية .
- ٢ — الكتمان والسرية — الرسائل المكتومة لأول مرة .
- ٣ — صغر حجم مفرزة الاستطلاع .
- ٤ — أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه .
- ٥ — ضرورة تجنب القتال .
- ٦ — قيام القائد بالاستطلاع الشخصى .
- ٧ — ضرورة اعلام القوات بالمعلومات عن العدو .
- ٨ — تكريم رجال الاستطلاع .
- ٩ — قوة التحمل لدى رجال الاستطلاع .

- أمثلة للاستطلاع الحربى في عصر النبوة .

- ١ — في غزوة بدر الكبرى .
- ٢ — عاقبة اهمال الاستطلاع في غزوة حنين .

سرية عبد الله بن جحش

مفارز الاستطلاع (١) :

في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدي ومعه ثمانية من المهاجرين ، وكتب له كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه

(١) لفظ الاستطلاع مأخوذ من مادة أساسية هي « طلع » وتشير الى معان عدة يمكن أن تحدد طبيعة الاستطلاع ومهمة الذي يقوم به كما يلي :

- طلع الشمس أو الكوكب : بدا وظهر من علو .
- طلع الجبل : علاه وصعد فيه .
- أطلع فلانا على كذا : أعلمه به وأظهره له .
- طالع الشيء مطالعة وطلاعا : أطلع عليه بإدامة النظر فيه .
- أطلع على الشيء : أشرف عليه .
- أطلع الأمر : علمه وأدرك أسرارهِ .
- الطلاع : هو طلاع الثنايا والأنجد : مجرب للأمور يحسن تدبيرها بمعرفته وجودة رأيه .
- الطليعة من الجيش ونحوه : أول ما يطلع منه .

(م ٢ — النظرية الإسلامية في الاستطلاع)

حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين ، فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي هذا ، فامض حتى تنزل « نخلة » (بين مكة والطائف) ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم » .



فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال : « سمعنا وطاعة » ثم قال لأصحابه : « قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي الى « نخلة » أرصد بها قريشا ، حتى آتية منها بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فمضي ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد . (سيرة ابن هشام) .

ولعل أهم ما يلاحظه الباحث المحقق أن بعث هذه السرية جاء على رأس سبعة عشر شهرا من مقام المسلمين في المدينة بعد الهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى بشهرين ، تلك الغزوة التي تعد أول صدام مسلح ، له أبعاده وآثاره الإستراتيجية في الصراع الطويل بين الإسلام وأعدائه ، من أجل ذلك فإن هذه السرية ذات أهمية ترجع الى أمرين :

أولهما : الظروف والأحوال الاستراتيجية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة قبل تنفيذها .

وثانيهما : انها تعد — من وجهة نظر العلم العسكري — عملا من أعمال الاستطلاع الحربى ، يكشف لأول مرة عن بعض جوانب « النظرية الاسلامية في الاستطلاع الحربى » ، ويبرز الدور الخطير الذى يؤديه الاستطلاع في تحقيق الامن للأمة الاسلامية .



الظروف الاستراتيجية في شبه الجزيرة :

أما عن الظروف والأحوال الاستراتيجية التى سبقت بعث هذه السرية فيمكن أن نلخصها فيما يلى :

● المسلمون :

استقر المهاجرون في المدينة ، وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين الأنصار فأصبحوا اخوانا في الله .

● قريش :

تحاول جهدها القضاء على المسلمين في موطنهم الجديد بعد ان فشلت في القضاء عليهم بمكة .



● المشركون من الأعراب المجاورين للمدينة :

يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويحاولون انتهاز فرصة سائحة للايقاع بهم .

● مشركو ومنافقو المدينة :

يتمنون أن يتخلصوا من المسلمين الدخلاء الذين استجابوا لله وللرسول صلى الله عليه وسلم .

● اليهود :

لم يلبثوا حين رأوا أمر المسلمين يستقر ويسود ويشتد ، ان بدعوا يقبلون للمسلمين ظهر الجبن ، ويعملون للوقيعة بينهم ، ولم يتركوا وسيلة للذس واثارة البغضاء بين المهاجرين والأنصار ، ولا يفاظ الأحقاد الماضية بين الأوس والخزرج الا استفطوها .

يتضح من ذلك ان الأفق الاستراتيجى العام مشحون بالتربص ونذر الخطر ، وبالنوايا العدوانية ضد المسلمين ، ولقد وقعت خلال الفترة المحصورة بين شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة وشهر جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة سبع عمليات قتال محدودة (هى سرية حمزة — وسرية عبيدة بن الحارث — وسرية سعد بن أبى وقاص —

وغزوة ودان — وغزوة بواط — وغزوة ذى العشيرة —
وغزوة بدر الأولى) .

ولقد أثبت المسلمون بهذه العمليات أنهم أقوياء ،
يستطيعون الدفاع عن أنفسهم تجاه المشركين من قريش
والقبائل المجاورة وأهل المدينة وتجاه اليهود ، وبأن بإمكانهم
الدفاع عن عقيدتهم عند الحاجة ، وقد أرادوا بذلك أن تترك
لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل أعدائهم .



أركان النظرية الإسلامية في الاستطلاع :

أولا : الاستطلاع ضرورة حيوية :

وأول أركان النظرية الإسلامية في الاستطلاع هو أن
الاستطلاع ضرورة حيوية للتخطيط الحربى وأنه لابد أن
يسمى القائد الى معرفة أكبر قدر من المعلومات عن عدوه من
حيث كفاءته القتالية وأسلحته ، وأساليه فى القتال ، وعن
مصادر القوة لديه مثل قدراته الاقتصادية والسياسية ، وعن
أهدافه ونواياه ... الخ .

ويقرر العلم العسكرى مبدا يقول : « يؤسس القائد
خطته فى الميدان على ما لديه من معلومات ، وكلما كانت
المعلومات وافية ودقيقة كان الأمل فى نجاح الخطة كبيرا ،

لذلك فمن الواجبات الضرورية لجميع القادة اتخاذ كل ما من شأنه أن يزودهم بالمعلومات عن العدو ونواياه وحركاته الى غير ذلك من المعلومات .. » .

ويقول الأستاذ عباس العقاد (١) عن هذه السرية : « أما غرض البعثة كلها وهو الاستطلاع ، فقد كان النبى عليه السلام عليا بمزاياه معنيا به غاية العناية ، يحسب العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون ، فى حمى من الجهل بل قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية فى الوقت الضرورى ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه .. والحرب الروسية تذكرنا كيف أصيب نابليون فى هذا الميدان حين أصيب فى وسائل الاستطلاع ، ثم تذكرنا كيف تكررت هذه الغلطة بعينها على نوع من المشابهة بين غزوة نابليون فى روسيا أمس وغزوة هتلر لتلك البلاد اليوم .. فمن أسباب هزيمة نابليون اهماله النصائح التى سمعها فى مجلس الحرب من بعض الثقات قبل التوغل فى الحرب الروسية ، لاعتقاده خطأ أن القيصر سيطلب صلحه بعد أسابيع . ومن أسباب تلك الهزيمة أن الروس كانوا يتراجعون أمامه تحت جنح الظلام ويخلون المدن والطرق حتى لا يرى فيها ديارا يسأله عن مكان الجيش المتراجع أو يلتقط من خلال أجوبته ما يعينه على الاستطلاع الذى كان شديد التعويل عليه .. أما هتلر

(١) عبقرية محمد — ص ٤٣ .

فقد أتى من قبل هذين النقصين كما أتى من قبله من هو اعظم منه وأولى بالتحرز والأناة . فقد اشتهر انه كان في مجلس الحرب على خلاف مع قواده الثقات الذين علموا من شأن الروس ما ليس له به علم . . واشتهر انه اخطأ في استطلاع أخبار القوم اذ خيل اليه أن الشعب الروسى يتحفز للثورة ويتربقب الاغارة عليه لنصرة المغير كائنا من كان ، ولو جاءت الفارة من عنصر معاد للعنصر السلافى ، وهو عنصر الجرمان . . ومحمد عليه السلام لم يتعلم ما تعلمه هتار ونابليون ، ولكنه لم يخطئ قط مثل هذا الخطأ في جميع غزواته وكشوفه ، ولعلنا نفهم — كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والأمثال الباقية — أن دراسته ضرب من دراسة العصر الحديث والقادة المحثين . .



ثانيا : الكتمان والسرية في الاستطلاع :

إذا تأملنا تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن جحش ، نلاحظ ما يلى :

- ١ — أن عبد الله بن جحش وأصحابه كانوا لا يعلمون عن أمر مهمتهم شيئا حتى ولا الدور الذى سيقومون به .
- ٢ — أن أحدا منهم بما فيهم الأمير ، لم يسأل أى سؤال عن ذلك ، وانما كانت طاعة مطلقة من الجنود نحو الأمير .

٣ - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخفى عن أهل المدينة ، مسلمين وغيرهم ، أمر هذه السرية حتى لا يتسرب أى خبر الى الأعداء ، فتفسد الخطة المترتبة على ذلك .

ولرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حكمة فى كتمان أمر تلك السرية ممن يحيطون به ، فليس ببعيد أن يكون منهم جاسوس من قبل قريش ، ولا أن يكون منهم من يوح بالخبر من سداجة ، لا يريد به السوء ، أو لا يدرك ما فى اليوح به من الخطر المنظور ، ولا يبعد أن يكون فيهم ضعيف النفس يفشى السر بتأثير مال أو ضغط ، وفى هذا تحقيق كامل لسنته صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » .

وهكذا يقرر الرسول أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرية التامة ، وهذا حق ، لأن العدو إذا أحيط علما بذلك فسوف يستعد استعدادا تاما لحرمان هؤلاء الذين سوف يقومون بالاستطلاع من الحصول على المعلومات التى يريدونها ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلا عما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة فى أرواح هؤلاء الرجال ، أو من وقوعهم فى الأسر ، فيكشف العدو الخطط والنوايا .

وفي الحرب الحديثة يحافظ الاستطلاع بكل أشكال الكتمان والسرية ، فمفارز الاستطلاع مثلا ، تقوم بعملها غالبا في الليل تحت ستر الظلام ، فاذا اضطرت الى العمل نهارا نراها ترعى كل اساليب الاختفاء والحذر والتمويه .

٤ - الرسائل المكتومة لأول مرة :

وقد انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة بارعة للمحافظة على السرية وهي امره لعبد الله بن جحش بالافض الرسالة وينظر فيها الا بعد ان يسير يومين اى حين يكون قد بعد عن المدينة وعن اهلها . وامثلة ذلك في التاريخ كثيرة ، فان كثيرا من قواد الجيوش والحملات المرسلة للغزو كانوا يخفون اسرار حملتهم عن جميع مرعوسيههم الا عن هيأتهم الخاصة القليلة العدد وهي « هيئة اركان الحرب » التي تقتضى ضرورة وضع الخطط وترتيب العمليات ان يكونوا على علم بها ، وقد تصدر الى قواد الجيوش والاساطيل اوامر مختومة ليفتحوها في مكان معين بعيد عن القاعدة سواء على الأرض أو في عرض البحر ، ويتفق من امثال هذه البعث ان يكون القائد وحده مطلعا على السر في حين يجهله جميع رجاله حتى اذا بقى على الحركة المقصودة ساعات معدودات تصدر الاوامر صريحة تحمل المفاجأة وتدعو الى الاسراع في العمل المقرر . ومن امثلة ذلك ما حدث في الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ م من ان الحملة الحربية التي ارسلت بحرا من الهند لغزو العراق لم يعرف

رجالها وجهتهم الا في عرض البحر . وكان ذلك بقصد اخفاء
نبا هذه الحملة عن الاعداء وقد حدث مثل هذا في الحرب
العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م وبخاصة في عمليات الغزو
البحرى .

ثالثا : صغر حجم مفرزة الاستطلاع :

لم يزد عدد افراد سرية عبد الله بن جحش على ثمانية
(او اثنى عشر رجلا في مصدر آخر) وقلة عدد افراد المفرزة
التي تكلف مهمة استطلاعية مطلب ضرورى يتفق مع دواعى
الكتمان والسرية ويقلل من فرص اكتشاف العدو لها .

وهذا هو ما تنص عليه قوانين خدمة الميدان (١)
المعاصرة اذ تنصى بأن (تكون مفرزة الاستطلاع صغيرة
ما أمكن) .



رابعا : ان يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه :

فقد اوصى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم

(١) قوانين خدمة الميدان هى المرجع الرسمى الذى تقرره
الجيش فى كل دولة ويشتمل على تعاليم القتال وغيره من
شئون الحرب التى يلتزم بها المقاتلون .

عبد الله بن جحش الا يكره احدا من المسلمين على المسير معه فامثل للأمر وعرض على أصحابه وهو يقول : « وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان فيكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينتلق ، ومن كره ذلك فليرجع » . ومعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر مبدأ هاما هو « أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه » وهو مبدأ عبقرى ينطوى على عمق في التفكير وبعد في النظر .



* فالواقع أن هناك فرقا كبيرا بين الخروج للقتال والخروج للاستطلاع ، فإذا خرج الرجل مكرها على القتال فقد يقاتل لأنه مهدد بالموت المؤكد سواء في القتال أو اذا حاول الفرار .

* ولكن اذا خرج الرجل للاستطلاع مكرها ، فلا يمكن أن يفيد وسوف يكون خروجه بلا جدوى بل ربما يحرف الأخبار عمدا أو يتلقاها بغير عناية أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم عنه غافلون .

والدهش أن هذا المبدأ معمول به في الحرب الحديثة ، فإذا أرادت قيادة الجيش بعث مفرزة للاستطلاع ، فانها تختار القائد ثم تترك له الحرية المطلقة في اختيار مرافقيه ، فتراه يختار من يرغب في الخروج معه ، ومن يثق بهم ، وكذلك

الحال في كل عمل من أعمال القتال التي تنفرد بطابع خاص ومن ذلك أعمال الفدائيين الذين يكلفون مهام شاقة وخطيرة تتعرض فيها حياتهم لموت أكيد وهلاك محقق فيطلب القيام بها قدرا كبيرا من الأقدام والشجاعة والجرأة والغيرة ، فهل يمكن لمن يخرج لمثل تلك الأعمال مكرها ان يحقق شيئا من الأهداف المرجوة ؟ .. وهكذا تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك » .



خامسا : ضرورة تجنب القتال :

واضح من تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد حدد مهمة عبد الله بن جحش في استطلاع أخبار قريش : « فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » .

أي أن الرسول لم يكن يريد « قتالا » بل كان يريد « استطلاعا » ، والذي حدث أنه بعد أن قرأ عبد الله بن جحش رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مضى ومعه أصحابه جميعا خلا سعد بن أبي وقاص الزهري وعقبة بن غزوان اللذين ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل فأسرتهما قريش وسأر عبد الله ومن معه حتى نزلوا « نخلة » :

هناك مرت بهم عير لقريش تحمل تجارة عليها

عمرو بن الحضرمي وكان يومئذ آخر رجب وذكر عبد الله ابن جحش ومن معه ما صنعت قريش بهم وما حجزت من أموالهم وتشاوروا وقال بعضهم لبعض : « والله لئن تركتم القوم هذه الليلة لينخلن الحرم فليمتنعن منكم به . ولئن قتلوهم لتقتلنهم في الشهر الحرام » وترددوا وهابوا الأقدام ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ورمى أحدهم عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله وأسر المسلمون رجلين من قريش وأقبل عبد الله بن جحش بالعمير والأسيرين حتى قدموا المدينة على الرسول فلما رآهم قال لهم : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » ووقف العمير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا وأسقط في يد عبد الله بن جحش وأصحابه وعنفهم أخوانهم من المسلمين بما صنعوا وانتهزت قريش الفرصة فأنارت نائرة الدعاية بأن مجمدا وأصحابه استحلوا الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا الرجال ، ودخلت يهود تريد أشعال نار الفتنة ، إذا ذاك نزل قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استبطعوا » .

(البقرة : ٢١٧)

وسرى عن المسلمين بنزول القرآن بهذا الأمر وقبض

النبي صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين فافتداهما منه
قريش فقال : « لا نفديكما حتى يقدم صاحباننا فاننا نخشاكم
عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم » وقدم سعد وعتبة
وافداهما النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسيرين .



ولو نظرنا في قوانين خدمة الميدان يدهشنا أن هناك
مبدأ ينص على أنه يجب على المفرزة التي ترسل للحصول
على معلومات أن تتجنب القتال بقدر ما يمكن ومن المعروف
أيضا في العلم العسكري الحصول على المعلومات لو تطلب
قتالا بالضرورة فان ذلك يقتضى اتخاذ ترتيبات واجراءات معينة
في تركيب المفرزة وعقد أفرادها وفي تسجيلها لكي تكون قادرة
على القتال باعتباره وسيلة لتحقيق مهمتها والحكمة في أن
تتجنب مفارز الاستطلاع التورط في القتال — الا عند الدفاع
عن النفس — هو أن القتال سوف يهدم جانب السرية والكتمان
ويعيق المفرزة عن أداء مهمتها . وهنا تتجلى حكمة الرسول
القائد صلى الله عليه وسلم وهو يقرر هذا المبدأ في سرية
عبد الله بن جحش .

* في وضوح وجلاء عند تحديد المهمة : « فتعلم لنا من
أخبارهم » .

* وفي أنه بعث السرية في شهر رجب وهو من الأشهر
الحرام التي حرم القتال فيها .

❖ وفي استنكاره لما حدث من قتال حين قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » .

سادسا : قيام القائد بالاستطلاع الشخصي :

ومن مبادئ الاستطلاع ايضا أن يقوم القائد بنفسه بالاستطلاع سواء في مرحلة التحضير للمعركة أو في مرحلة ادارتها ، أي أنه لا يكتفى بما تحصل عليه وسائل الاستطلاع من مفارز ومراقبين وغيرهم من معلومات ، بل يجب أن يحرص على أن يشاهد بعينه ما يهيمه مشاهدته مما يزيد من وضوح الرؤية لديه لكي يأتى التخطيط للمعركة بعد ذلك سليما الى أقصى حد ممكن . وسوف يتضح هذا المبدأ من الأمثلة العملية للاستطلاع في عصر النبوة كما سيأتى .



سابعا : ضرورة اعلام القوات بالمعلومات عن العدو :

وتقرر النظرية الاسلامية في الاستطلاع ضرورة اعلام القوات بما يلزمها معرفته من معلومات عن العدو وبالقدر الذى يقرره القائد حسب ظروف المعركة ومتطلباتها . والواقع أن تطبيق هذا المبدأ يحقق فائدة كبرى لصالح المعركة لأنه كلما زادت معرفة الرجال بالموقف وأوضاع العدو وحركاته ، زادت قدرتهم على العمل الايجابى والمباداة والتصرف والابتكار ، أما اذا حارب الرجال والموقف يلقه الغموض والجهل

بما يحيط بهم ، فسوف تضعف قدراتهم وكفائتهم القتالية الى حد كبير .

يقول الله تعالى : « أمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم » . (الملك : ٢٢)

وسوف يتضح هذا المبدأ من الأمثلة العملية للاستطلاع في عصر النبوة كما سيأتي .

ثامنا : تكريم رجال الاستطلاع :

روى أبو القاسم البغوي عن سعد بن أبي وقاص قال : بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية قال : لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش ، فبعث علينا عبد الله ابن جحش رضى الله عنه ، وسماه صلى الله عليه وسلم « أمير المؤمنين » فهو أول من تسمى في الاسلام به .

وينطبق ذلك على مبدأ تكريم وتشريف رجال الاستطلاع ، بالنظر الى خطورة مهمة الاستطلاع ، والى صلتها المباشرة بأمن المسلمين وسلامتهم .

ويظهر هذا المبدأ أيضا من حديث حذيفة بن اليمان حين كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم استطلاع أخبار العدو ، يقول : لقد رايتنى ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم ، أدخله الله الجنة » .

وفى الحديث نفسه ورد قوله صلى الله عليه وسلم :
« هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون
رفيقى فى الجنة ؟ » .

تاسعا : قوة التحمل لدى رجال الاستطلاع :

ويكشف قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لأبعثن
عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش » عن أن قوة
التحمل شرط من الشروط التى يجب توفرها فيمن يختارون
لهام الاستطلاع قادة أو جنودا ، وذلك بالطبع بالاضافة
الى شرط الرغبة الذى سبق ذكره .



أمثلة للاستطلاع الحربى فى عصر النبوة

فى غزوة بدر الكبرى :

● أراد المسلمون اعتراض قافلة قريش عند ذهابها الى الشام فى أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة لكنها تملصت منهم ، فتجنبوا عودتها ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ينظرانها ، حتى اذا وصلا « الحوراء » على طريق الشام - مكة ، مكثا هناك ، فلما مرت بهما القافلة ، أسرعا يخبران النبى صلى الله عليه وسلم بأمرها ، فقرر عليه السلام الخروج وقال للمسلمين : « هذه غير قريش فأخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

وهكذا كانت نتيجة الاستطلاع الذى قامت به تلك المفزة الصغيرة ان اتخذ الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قرار المعركة وحدد هدفها .

وانطلق المسلمون مسرعين خوفا من اقلات قافلة ابى سفيان منهم ، وبثوا عيونهم يتعرقون الاخبار ، فلما وصلوا

قريباً من « الصفراء » (١) بعث الرسول صلى الله عليه وسلم مفرزة استطلاع قوتها رجالان الى « بدر » للحصول على المعلومات عن قريش وعن قافلتها ، فلما وصل المسلمون « وادى ذفران » (٢) جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلته . .

وبناء على هذا الاستطلاع أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وطلب مشورتهم في هذا الموقف الجديد (وهو خروج قريش) ، فاتفقت كلمتهم جميعاً مهاجرين وأنصار على قرار مواجهة قريش .



● وارتحلوا جميعاً حتى اذا كانوا على مقربة من « بدر » انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم امام جيشه وبصحبه ابو بكر ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد . واصحابه وما بلغه عنهم ، قال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبراني ممن أنتم ؟ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا أخبرتنا أخبرناك » .

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير الخيرات .

(٢) وادى ذفران : واد قرب وادى الصفراء .

علم الرسول من شيخ العرب ان غير قريش قريبة منه ، فقال له : « نحن من ماء » . ثم أنصرف وصاحبه عنه والشيخ يقول : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ ! »

وهكذا يرسى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم قاعدة هامة من قواعد الاستطلاع والقيادة الحربية هي ضرورة قيام القائد بنفسه بالاستطلاع ، وهو ما يعرف في العلم العسكري (بالاستطلاع الشخصي للقائد) ، أى ان القائد لا يكتفى بالمعلومات التى تحصل عليها مفارز الاستطلاع او غيرها من الوسائل ، بل يقوم بنفسه بالاستطلاع وبخاصة قبل المعركة وفي لحظاتها الحرجة .



هذا فضلا عن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على مبدأ الكتمان والسرية فرأينا كيف أخفى هويته عن شيخ العرب حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين ، ويبدو ذلك واضحا جليا في رده الذكى : « نحن من ماء » .

❁ هنا سوبعد ان ثبت ان قريشا أصبحت غير بعيد — يكون من الأمور الحيوية الحصول على معلومات تفصيلية عن العدو مثل موضعه وقوته ، وإلقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بمفرزين للاستطلاع للحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها .

المفرزة الأولى :

مؤلفة من على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه ، وقد استطاعت الوصول الى ماء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم منهما أن قريشا وراء الكتيب « بالعدوة القصوى » .

ولما اجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش ، سألهما النبى : « كم ينحزون يوميا ؟ » : فأجابا : « يوما تسعا ويوما عشرا » فاستنبط الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك انهم بين التسعمائة والالف ، وعرف من الغلامين كذلك أن اشراف قريش جميعا خرجوا مع الجيش .

المفرزة الثانية :

اما المفرزة الثانية فكانت مؤلفة من رجلين من المسلمين ، فلما وصلا ماء بدر سمعا جارية تطالب صحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « أما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك » . فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا .

وهكذا كانت نتيجة الاستطلاع الذى قامت به المفرزتان أن حصل المسلمون على تفاصيل هامة قبل دخول المعركة :

١ - موضع قوات العدو : « وراء الكتيب بالعدوة القصوى » .

٢ - قوة جيش العدو : من ٩٠٠ الى ١٠٠٠ رجل .

٣ - قيادة جيش العدو : اشراف قريش جميعا .

وهنا يرسى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم قاعدة جديدة من قواعد القيادة والاستطلاع تتعاق « بإعلام القوات » أى تعريف رجال الجيش بما يهمهم معرفته عن عدوهم الذى سيواجهونه ، ويظهر ذلك بكل جلاء فى اعلامهم بما حصل عليه من معلومات عن قوة جيش العدو وقيادته ممثلا فى قوله صلى الله عليه وسلم : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » . اذا غلب له ولهم أمام قوة يزيدون عليهم فى العدد ثلاثة أضعاف أن يشحذوا عزائمهم ، وأن يوطنوا على الشدة أفئدتهم ونفوسهم ، وأن ينتظروا موقعة حامية الوطنية لا يكون النصر فيها الا لمن ملأ الايمان بالنصر قلبه .. وقد قال الرسول عايه الصلاة والسلام لرجالہ قبل القتال : « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » .

عاقبة اہمال الاستطلاع (غزوة حنين) :

• سمع الرسول صلى الله عليه وسلم بأخبار تحشد هوازن وثقيف لمهاجمة المسلمين . فأرسل عبد الله

ابن أبى حردد الأسلمى الى منطقة تحشد المشركين لاتأكد
من صحة تلك الأخبار .

وعاد عبد الله بن أبى حردد ليخبر المسلمين بأن قبائل
هوازن وثقيف قد انجزت تحشدها فى منطقة « وادى أوطاس »
وأنها تنوى مهاجمة المسلمين . فقرر الرسول صلى الله عليه
وسلم مهاجمة هذه القبائل .

● وتحرك جيش المسلمين باتجاه حنين وأمامه مقدمة
بقيادة خالد بن الوليد ، لكن المقدمة لم تنجز مهمتها التى هى
حماية الجيش والحصول على المعلومات عن العدو وأوضاعه
حتى لا يتعرض الجيش للمباغنة ، اذ اندفعت فى وادى حنين
دون أن تكشف قوات العدو التى احتلت قمم الوادى
والمضيق ، واندفع باقى الجيش وراء المقدمة حتى اذا استقر
فى الوادى ، رماهم المشركون ببوابل من سهامهم بصورة
مباغنة فارتبكت الصفوف وانتشر الفزع وتعرض المسلمون
للهزيمة فى المرحلة الأولى من معركة حنين .

الأمن ومقاومة الجاسوسية

- صيانة أسرار الدولة .
- دور أجهزة المخابرات .
- الوسائل السرية والعننية .
- المخابرات الوقائية .
- الجاسوسية والجاسوس .
- ١ — فكرة عامة .
- ٢ — أسس اختيار الجاسوس .
- ٣ — أساليب تدريبه .
- ٤ — أساليب الجاسوس في الحصول على المعلومات .

صيانة أسرار الدولة :

تهتم كل دولة (١) بالحفاظ على أسرارها ، ومقاومة كل من يحاول الوصول إليها . . فلكل دولة أهدافها الحيوية والحساسة التي تعمل على حمايتها ضد أولئك الذين يحاولون القيام بمحاولات لتخريبها وتدميرها كما تحرص الدولة على التمسك بقيمتها ومبادئها وتهدف إلى تماسك شعبها واستقراره .

وتعمل كل الدول على أن تجعل من الصعب على الدول الأخرى وخاصة المعادية لها الحصول على المعلومات عنها أو القيام بمحاولات تهديد منشأتها وأهدافها الحيوية أو التأثير على معنويات شعبها أو التشكيك في مبادئها وقيمها وذلك تبعاً لما تتخذه الدولة من تدابير وإجراءات وجهود لمواجهة المحاولات حسب إمكانياتها المادية والعلمية . يقول فرانزفون رينتلين رئيس الجواسيس الألمان في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى :

(١) أحمد هانى : الجاسوسية بين الوقاية والعلاج —

س ٩ — ١٣ .

« ان لكل دولة الحق في أسرارها الخاصة وهى فى الوقت نفسه ملتزمة بالمحافظة عليها ولكن هذا المعنى نفسه يعطى كل دولة الحق فى ان تكشف أسرار الدول الأخرى » .

وتهتم كل دولة بمعرفة جميع أنواع المعلومات صغيرها وكبيرها المتعلقة بكل الدول وفى المقام الأول الدول التى فى مواقف عدااء منها وتلك التى ينتظر أن تكون فى وقت ما طرف نزاع مباشر معها .



دور أجهزة المخابرات :

ومع تطور أحداث التاريخ ومع التقدم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مجالات الحياة مما أثر الى حد كبير على شكل العلاقات الدولية أصبح لدى كل الدول — وخاصة المتقدمة منها — جهاز للمخابرات كاحدى الإدارات والمصالح الهامة التى تعمل فى خدمة الأمن القومى للدولة .

وتعنى أجهزة المخابرات — لخدمة الدولة التابعة لها — بالحصول على جميع أنواع المعلومات لتتمكن الدولة من وضع سياساتها المختلفة وتوجيه أنواع مختلفة من النشاط للاحاق الضرر بالدولة أو الدول المعادية لها .

وتهتم المخابرات عادة بالحصول على كافة أنواع

المعلومات السياسية والدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والجغرافية والطبوغرافية وحتى المعلومات الخاصة بالمواصلات والنقل ..

وتحصل المخابرات على هذه المعلومات بطريقتين احدهما علنية مكشوفة والاخرى سرية مستترة .

ونشاط الجاسوسية هو المقصود بوسائل المخابرات السرية في الحصول على المعلومات وللجاسوسية اساليبيها المتعددة التي تندرج من الوسائل العلمية المتقدمة جدا الى التصنت على حديث يدور اثناء حفل خاص بواسطة احد عملائها .



ووسائل المخابرات العلنية في الحصول على المعلومات تتدرج من فحص كل ما تنشره الدولة في مطبوعاتها الى كل ما تذيعه اذاعاتها .

ويؤكد الخبراء في علوم المخابرات ان المعلومات التي تحصل عليها المخابرات بواسطة العمليات السرية والمصادر السرية والجواسيس تمثل اقل من عشرين في المائة من كل المعلومات التي تحصل عليها ومن المؤكد ايضا انه لا يمكن أن تأخذ المخابرات بالمعلومات التي تنشرها الدول الاخرى دون أن تعمل على تأكيد صحتها والتحقق من اسباب نشرها .

تعتمد المخابرات إذن على المصادر العلنية للدول الأخرى للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات ثم تقوم بتحليلها وتقديرها والوصول منها إلى الحقيقة المراد ادراكها وقد أصبح اليوم لدى كل الدول ادارات مخابراتها وقد تكون هذه مختلفة في كيفية تنظيمها وكفاءتها ووسائلها غير ان لها جميعا واجباتها الرئيسية الثلاثة وهى :

« جمع المعلومات أو الحصول عليها ثم تقدير قيمة هذه المعلومات لتصبح بعد ذلك معلومات مخابرات ثم توزيع معلومات المخابرات هذه على أولئك الذين يحتاجون إليها » .

وقد يفهم من ذلك ان نشاط المخابرات يقتصر على جمع المعلومات وتقييمها والاستفادة منها ولا يشير الى أنواع الأنشطة الأخرى التى يمكن أن تقوم بها أجهزة المخابرات وذلك يرجع الى ان مفهوم المخابرات من الناحية العلمية البحتة ويعنى بالمعرفة ومدى الاستفادة منها .



ولكن عند لمس أبعاد الواجب الثالث للمخابرات وهو « توزيع معلومات المخابرات الى أولئك الذين يحتاجون إليها » نجد ان أحد هذه الأبعاد هو الاستفادة من هذه المعلومات فى القيام بأعمال ضد الدولة أو الدول المراد إلحاق الضرر بها عن طريق التخريب المادى أو التخريب السياسى أو القيام بعمليات محددة ذات أثر مباشر كالتأمر لقلب نظام الحكم

في دولة ما وهذا لا يعنى أن أجهزة المخابرات لا تشترك في التخطيط أو في التنفيذ أو أنها لا تشرف على مثل هذه العمليات .

ويرجع ذلك بشكل مباشر الى الاختلافات الموجودة في اختصاصات الأجهزة المختلفة في دولة ما عن الدولة الأخرى ويتوقف ذلك على مدى ما يتوفر من وسائل وإمكانات لدى جهة دون الأخرى في مجال ممارسة نشاط معين تستطيع تلك الجهة أن تمارسه بنجاح أكبر من الأخرى فقد تستطيع القوات المسلحة للدولة ما تنفيذه عملية معينة لا يتوفر لدى إدارة المخابرات فيها تلك الإمكانيات اللازمة لتنفيذها .



ونجد مثلا أن أعمال التخريب المادي أو التخريب المعنوي « الحرب النفسية » أو التآمر ضد نظام الحكم في دولة ما تقوم بها جهات أخرى غير إدارة المخابرات في إحدى الدول بينما نجد أن إدارة المخابرات في دولة أخرى هي التي تقوم بهذه الأنشطة ولديها الإمكانيات والوسائل التي تمكنها من ذلك .

ولكن مهما تعددت الجهات القائمة بتنفيذ أعمال التخريب بنوعيه أو التآمر فأنه من الثابت أنها تعتمد أساسا على المعلومات التي تمدّها بها إدارة المخابرات .

مما تقدم نخلص الى حقيقة تفيد بأن لدى كل دولة وخاصة المتقدمة منها ادارة للمخابرات توجه جهودها العلنية والسرية للحصول على المعلومات بصفة دائمة عن الدول الأخرى والحاق الضرر بها — كلما تحتم ذلك — عن طريق عمليات التخريب المادي أو المعنوي أو التآمر ضد دولة أو عدة دول أخرى وربما قامت جهة أو جهات أخرى بتنفيذ هذه المعلومات منفردة أو بالاشتراك مع ادارة المخابرات أو تحت اشرافها .

وهذه الجهود التى تقوم بها ادارات المخابرات ضد الدول الأخرى أطلق عليها الاصطلاح الفنى « المخابرات الإيجابية » .



المخابرات الوقائية :

ولكى تواجه الدولة عمليات المخابرات الأجنبية المعادية لها عليها أن تتخذ من التدابير والاجراءات والعمليات ما يكفل لها ضمان التحفظ على أسرارها ويمنع حدوث ما يمكن أن يلحق الأضرار بها أو يؤثر على سلامتها أو أمنها .

وهذه الاجراءات والتدابير والعمليات هى ما تم الاصطلاح على تسميتها بالتعبير الفنى « المخابرات الوقائية » أو « المخابرات المضادة » أو « المخابرات السلبية » وهى :

« المجهود الذى يرمى الى حماية الأسرار الخاصة بالدولة ومقاومة من يحاول الوصول اليها » .

أى أنها العمل الدفاعى للمخابرات .. وهى تعتبر المهمة الرابعة للمخابرات .

فالمخابرات الوقائية تعنى أمرين :

الأول : يهدف الى حماية أسرار الدولة .

والثانى : هو مقاومة من يحاولون الوصول اليها .

* * *

وتمشيا مع هذا المفهوم واستنادا الى الوسائل التى تستخدمها المخابرات فى جمع المعلومات ، فان كل دولة واعية تحصر على أن تقيم « خطا دفاعيا » يتمثل فى التدابير والاجراءات التى تستهدف حماية أسرارها ومنشأتها الحيوية، ثم تقيم خطا آخر ايجابيا يستهدف منع أولئك الذين يحاولون اختراق الخط الدفاعى الأول من تحقيق غرضهم وذلك بالتبصص عليهم وتقديمهم للمحاكمة قبل أن يتمكنوا — كلما كان ذلك ممكنا — من نقل أى جزء من المعلومات عن الدولة .

والخط الدفاعى الأول يعنى جميع التدابير والاجراءات التى تتخذها الدولة وتعمل على تطبيقها بواسطة أجهزتها التى ينفذ بها حماية أسرار الدولة ومنشأتها الحيوية

(م ٤ — النظرية الاسلامية فى الاستطلاع)

وهو ما يسمى « بالامن الوقائي » أما الخط الايجابى الذى يعمل على منع من يحاولون اختراق « سنياع الامن الوقائي » او التسلل منه بطريقة أو بأخرى ، الى حيث توجد اسرار الدولة ، فيعرف « بمقاومة الجاسوسية » ويقبول لاديسلاس فاراجو : « ان نجاح الجاسوس أو المخرب لا يرجع الى نقص أو ضعف فى نظام مقاومة التجسس ، بل يرجع الى النقص فى تدابير الامن الوقائية » .

الجاسوسية والجاسوس :

ومن المفيد ان نتناول بالشرح المبسط مفهوم الجاسوسية والجاسوس :

● فالجاسوسية ببساطة هى « النشاط السرى الذى يقوم به جهاز مخابرات دولة من الدول للحصول على معلومات عن دولة أخرى » . ومن مظاهر الفهم الخاطىء لدور الجاسوسية فى الشؤون الدولية ان نتصور ان عمل الجاسوس مقصور على ميدان النشاط العسكرى فحسب ، ذلك لان قوة الدولة وقدرتها على المقاومة لا تقوم على كفاءة قواتها المسلحة فحسب ، بل تتوقف على مدى متانة واستقرار اقتصادها ، وكذلك على قوة أو ضعف مغنويات الأفراد ويمكن لهذه العوامل ان تكون عوامل نجاح أو فشل فى الصراع المسلح .

فالجاسوسية تشمل اذن ميدانا واسعا متعدد الاتجاهات ،
واتجاه الفكر الى المراحل العسكرية يرجع فقط الى أن
عمل الجاسوس الذى يهدف الى الحصول على الاسرار
العسكرية هو العمل الأكثر خطرا . ومن ثم فان الجواسيس
الذين يعملون فى ميدان الحصول على المعلومات العسكرية
هم الذين يعنى بهم الناس ، والحقيقة أن الجاسوس الذى
يعمل فى المجالات الاقتصادية والسياسية لا يقل خطرا عن الذى
يعمل فى المجال العسكرى .



● والجاسوس هو العنصر الاساسى فى عملية
التجسس ، ويختار بحيث تمكنه ظروفه وأمكانياته وعلاقاته
وصداقاته من التجسس والحصول على المعلومات . وتجند
منظمة مخابرات اجنبية باستغلال نقاط الضعف التى يقص بها
ومنها عدم القناعة بالدخل المشروع والرغبة فى الثراء ومقدان
الوازع الوطنى أو الدينى والشذوذ الجنسى والميل الى الجنس
الأخر والاستهتار بالقيم الأخلاقية وأدمان الخمر والمقامرة
وما الى ذلك . ويتم ذلك داخل البلاد أو خارجها لاعداده
للتجسس لصالح منظمة المخابرات الأجنبية .

● والجاسوس يتلقى تدريبا طويلا على الأمن وأساليب
الحصول على المعلومات ووسائل التراسل السرى واستخدام
المفرقات ... الخ . والأمن هو عصب حياة الجاسوس

اذ ان الجزاء الذى ينتظره بالاعدام شتقا او رميا بالرصاص
او السجن مدى الحياة يدفعه الى ان يزاوّل عمله فى حرص
وحذر ولا يقوم بأى عمل يكشف نشاطه السرى .

● ويحرص الجاسوس على ان يظل أمره مختفيا لا عن
جهاز مكافحة التجسس بل أيضا عن الذين يعيش معهم
ويعمل بينهم ولذلك فهو يعمل على ان يندمج اندماجا كاملا
وان يتلاءم ملاءمة تامة مع الذى يقوم به لتغطية مهمته
الحقيقية بحيث يتفق مظهره وحركاته مع مقتضيات
ذلك العمل .

● والجاسوس اما ان يكون من بين مواطنى الدولة
او رعايا دولة أخرى ومقيما فى البلاد او من رعايا دولة أخرى
وغير مقيم فى البلاد ولكنه دخل اليها تحت سائر لمزاولة
التجسس .

* * *

● ويقوم الجاسوس بالحصول على المعلومات عن
طريق الملاحظة والمشاهدة ونقل ما يراه ، وقد يكون داخل
المكان الذى يتضمن المعلومات وبذلك يمكنه الامداد بالمعلومات
والوثائق ، او قد يكون فى وضع يمكنه من الحصول على
المعلومات من أشخاص آخرين يثقون فيه ولا يدركون حقيقة
نشاطه ونواياه عن طريق استغلال هؤلاء الذين يتحدثون

بطلاقة في كل شيء دون حرص أو حذر وذلك باتباع الأساليب الآتية :

١ — أسئلة عادية وغير مباشرة في معرض حديث لا يبدو أنها مقصودة ويصل منها الى أهدافه .

٢ — اتباع الاثارة في أسئلته وحديثه .

٣ — استغلال ميل محدثه الى التفاخر وحب الظهور بمظهر العليم ببواطن الأمور .

٤ — الاختلاط بالمجتمعات والمستويات المختلفة والاستماع الى الأحاديث التي تدور فيها .

وبذلك يحصل الجاسوس على المعلومات دون جهد أو عناء .



● والجاسوس في كل نشاطه ويكل الأساليب التي يتبعها للحصول على المعلومات يعمل على أن يكتسب ثقة الآخرين دون أن يثير الشك فيما يهدف اليه من وراء ذلك حتى لا يمنعه من الادلاء بأحاديثهم معه أو أمامه . وحصول الجاسوس على المعلومات بهذه الأساليب يعتبر الأساس الذي يعتمد عليه العدو في استقراء معلوماته التي يبني عليها خطته .

● وإذا كانت أجهزة الأمن قادرة على ضبط الخونة والجواسيس فإنها لا تملك سبيلا بالنسبة للمواطنين الذين يتطوعون بإمداد جواسيس العدو بهذه المعلومات عن حسن نية دون أن يتبادر إلى أذهانهم أنهم بزلة لسان أو بتصرف طائش أو بسبب رغبة في الظهور والتفاخر قد يكونون السبب المباشر في حصول العدو على ما يريد من معلومات وبذلك يعرضون أمن أمتهم وسلامتها للخطر .

أركان النظرية الإسلامية في الأمن ومقاومة الجاسوسية

- ١ - الكلمة أمانة .
 - ٢ - كتمان الأسرار .
 - ٣ - غرس وعى الأمن بالتربية والتوعية .
 - ٤ - الصمت .
 - ٥ - كبح شهوة الكلام (الثثرة) .
 - ٦ - النهى عن التطفل .
 - ٧ - النهى عن الفضول .
- دروس عملية من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام .

أركان النظرية الإسلامية

في الأمن ومقاومة الجاسوسية

عرفنا مما تقدم أن للمخابرات جانبين : الأول « ايجابي » وهو الحصول على المعلومات عن العدو ، والجانب الثاني « وقائي » وهو مقاومة المخابرات المعادية وحرمان العدو من الحصول على الأسرار ، وهو ما يعرف « بالمخابرات الوقائية » .

ومن أهم ركائز المخابرات الوقائية اتخاذ إجراءات السرية والأمن ومقاومة الجاسوسية لحماية أسرار الدولة .



ومقاومة الجاسوسية تعد هي الجانب الايجابي للمخابرات الوقائية وتتولاها أجهزة متخصصة في الدولة تعتمد في مهمتها على عدة وسائل أهمها الكشف عن يقومون بأعمال التجسس وتعقبهم ومتابعة نشاطهم واتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية أسرار الدولة .

يقول الآن دالاس (١) : « ان جهـدنا في جمع المعلومات العلية واسع المدى ، ونحن نحاول الا نفعل أو نهمل الحصول على كل ما يمكن الحصول عليه وكل ما يمكن ان يكون نافعا وله قيمة . ومع هذا فقد تكون هناك موضوعات تحتاج الحكومات معلومات عاجلة عنها ، أو قد تكون المعلومات المطلوبة مغطاة (اى مغلقة) بواسطة هذه المصادر العلية أو قد تكون هذه المعلومات العلية ناقصة أو غير موثوق بمصدرها ، وكما أنه من السهل جمع المعلومات العلية فمن السهل أيضا تزوير هذه المعلومات ، ولهذا السبب فان جمع المعلومات بالوسائل السرية اى عن طريق الجاسوسية يجب ان يبقى كضرورة وتعتبر هذه العملية هى الجهد الاساسى لعمليات المخابرات »

والحصول على المعلومات بالطرق السرية هو في حقيقته عملية اجتياز للفوائق والموانع - التى تشكلها اجراءات الامن الوقائية - بقصد الوصول الى نوع معين من المعلومات ، وهو ما يعبر عنه قول الجاسوس الالماني الشهير فرانزفون رنتلن : « ان لكل دولة الحق في اسرارها الخاصة وهى في الوقت نفسه ملتزمة بالمحافظة عليها ، ولكن هذا المعنى نفسه يعطى كل دولة الحق في ان تكتشف اسرار الدول الاخرى » .

من اجل ذلك كان جوهر المخابرات الوقائية هو كتمان

(١) كان مديرا للمخابرات المركزية الامريكية .

الأسرار وحمايتها وهو ما اصطلح العسكريون على تسميته « بالأمن أو بالسرية والأمن » وتعتبره كل المدارس العسكرية في العالم أنه خط الدفاع الأول عن الأمة .

عناية الاسلام بالأمن :

ولقد عنيت المدرسة الإسلامية بالأمن أشد العناية ، ووضعت له المبادئ والأصول والأساليب ، ولقد أثبت تاريخ صدر الاسلام أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي صلى الله عليه وسلم وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء ، في الوقت الذي كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يطلع على نيات أعدائه العدوانية عن طريق عيونه وأرصاده (رجال مخابراته) قبل وقت مبكر فيعمل من جانبه على إحباط ما يبيتونه للإسلام من غدر وخيانة ودسائس .

كذلك لم يستطع المشركون وأعداء الاسلام أن يباغتوا قوات النبي صلى الله عليه وسلم في الزمان والمكان وأسلوب القتال ، بينما استطاع صلوات الله وسلامه عليه أن يباغت أعداءه في معظم غزواته وسراياه .

أركان نظرية الأمل ومقاومة الجاسوسية :

أولا - الكلمة أمانة :

من المبادئ المعروفة أن الأمة التي تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي يمكن أن تنتصر ، والأمة التي لا تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي لا يمكن أن تنتصر . وما يقال عن الأمة يقال عن الأفراد لأن الأمة تتكون من أفراد .

واللسان الذي هو نعمة من نعم الله على عباده يستطيعون بها التعبير عن آرائهم وتبادل المنافع مع الناس ، هو وسيلة الخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا أحسن استعماله ، كما أنه سبب قوي للشر والشقاء في الدارين إذا أسيء استعماله فهو سلاح ذو حدين يمكن به النفع ويمكن به الضرر . . والقرآن الكريم ينبيء بأن كل لفظ من الإنسان مسجل عليه ، فيقول الله تعالى :

« ما بلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

(ق : ١٨)

فالكلمة أمانة عظمى لها مكانتها في الإسلام ، وتقدير أمرها والتدبر فيها قبل اللفظ بها مرتبط بالإيمان كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

ويقول الله تعالى :

((ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بانن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)) .

(إبراهيم : ٢٤ - ٢٦)

والمراد بالكلمة الطيبة شهادة الا اله الا الله ، وقيل : دعوة الاسلام ، وقيل : كل كلمة حسنة . والمراد بالكلمة الخبيثة : كلمة الكفر ، أو الدعاء اليه أو الكذب أو كل كلمة لا يرضاها الله تعالى .

واقشاء الأسرار التي تعود على الأفراد والأمم بالاضرار من الكلام الذي لا يرضاه الله تعالى ، وكذلك كل كلام فيه سعى بالفساد والافساد مندرج تحت الكلمة الخبيثة .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة ، وان أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت . فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه » . (رواه الترمذى وقال : حسن صحيح) .

وعن شعبان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله ، حدثني بأمر اعتصم به . قال : « قل ربي الله ثم استقم » . قال : قلت : يا رسول الله ، وأخوف ما تخاف على ؟ . فأخذ بلسان نفسه ثم قال : « هذا » . (رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم والترمذى) . كذلك قال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله امرأً أصلح من لسانه » .



ثانياً — كتمان الأسرار :

وينبه الإسلام الى البيظة والحذر في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم » وكما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المؤمن كيس فطن » فالبيظة والحذر والوعى والفطنة كلها تدفع الى كتمان الأسرار ، التي جعلها الإسلام أمانة من الأمانات يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها ، كما قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتکم » .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « الا لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » وقال أيضاً : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة » . (رواه أبو داود والترمذى) .

وقال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » . ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » . (رواه ابن المبارك والحاكم وصححه) .

وقال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » .



ثالثا — غرس وعى الأمن بالتربية والتوعية :

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون اولادهم المحافظة على السر ، قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : انى ارى هذا الرجل — يعنى عمر بن الخطاب — يقدمك على الاشياخ . (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسا :

لا تفشين له سرا ولا تفتابين عنده احدا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تمصين له امرا ، ولا يطلعن منك على خيانة . وقال أنس بن مالك : اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لعب مع الغلمان ، فسلم علينا . فبعثنى فى حاجة ، فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (أى أخرك) قلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت :

ما حاجته ؟ قلت : انها سر . قالت : لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا . (رواه مسلم) .

* * *

رائعاً — الصمت :

الصمت من اكبر أسباب الوقاية من افشاء الأسرار (والوقاية خير من العلاج) والاسلام يرشد الى الصمت ويدعو المسلمين اليه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

— « من سره أن يسلم فليزِم الصمت » .

(رواه البيهقي)

— « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

— « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وانفق الفضل من ماله » .

— « الصمت حكم وقليل فاعلمه » .

— « أمسك عليك لسانك » .

— « من كف لسانه ستر الله عورته » .

خاميساً - كبح شهوة الكلام (الثثرة والتحدث بدون حرص) :

من الناس من تتحكم فيه شهوة الكلام أكثر مما تتحكم فيه شهوة الطعام ، فيستر جهله بادعاء العلم (وخاصة ببواطن الأمور) فيطلق لسانه فيما يعرف وفيما لا يعرف ، فلا يدع سرا إلا إذاعه ، ولا يتخيل حديثاً إلا جعله حقيقة ملموسة ، ولا يتورع عن ترديد ما يلقى في أذنه من أنباء هدتها إيقاع الضرر بالامة كالاشاعات وغيرها .

والاسلام ينهى عن ذلك كما يفهم من قوله تعالى :

« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله يافى علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » .

(لقمان : ٦)

وقوله جل شأنه :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

(البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥)

(م ٥ - النظرية الاسلامية في الاستطلاع)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

— « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

— « لا تتكلم فيما لا يعنك فانه فضل (فضول) ولا آمن عليكم الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنك حتى تجد له موضعا » .

سادسا — النهى عن التطفل :

من القواعد الأساسية في الآداب الاسلامية ان يرعى المسلم أخاه المسلم ، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يكشف سره ، ولا يهتك ستره ، ولا يسخر منه ولا يتجسس عليه ، ومن تمام الايمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره لها ، فلا يقتحم عليه بيته دون استئذان لأن للبيوت حرمتها المصونة ، ولا يتدخل في شئونه الخاصة لأنها لا تعنيه ، بل تؤذيه ، وفي هذا التدخل هتك للأستار وانتهاك للحرمات ، ولهذا كانت عقوبته من أشد العقوبات .

وذلك ما يفهم من قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى

تستأنسوا وتسلخوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون *
فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل
لكم أرجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم » .
(النور : ٢٧ ، ٢٨)

وقوله جل شأنه :

« ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
وأعد لهم عذابا مهينا * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » .
(الأحزاب : ٥٧ ، ٥٨)

وقال عليه الصلاة والسلام :

— « من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن
يفتقوا عينه » .

— « أيما رجل كشف سترنا فأدخل فيه بصره قبل أن
يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل له أن يأتيه ، ولو أن رجلا فتأ
عينه لهدرت » .

— « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

سابعاً - انتهى عن الفضول :

ومن الناس من تستبد به شهوة الفضول ويحفزه حب الاستطلاع على التدخل فيما يعنيه ولا يعنيه من شئون الآخرين ، فتراه دائماً يمد بصره ويرهف سمعه ، ويدنس أنفه في كل أمر من الأمور ، وتراه ان وجد من الناس أعراضاً عنه يسعى الى اثباع فضوله بالقاء الأسئلة في الحاح والحاف ، وكل ذلك يتنافى مع مبدأ السرية والأمن ويؤدي الى كشف الأسرار لذلك نهى الاسلام عنه كما يفهم من قوله تعالى :

((يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم)) .
(المائدة : ١٤١)

ومن قوله جل شأنه :

((رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تفقر لى وترحمنى أكن من الخاسرين)) .

(هود : ٤٧)

وقوله جل شأنه :

((يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا يحب احكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه)) .

(الحجرات : ١٢)

وقوله :

« يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا » . (الأحزاب : ٢٠)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام :

— « ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب
في اذنيه الآتك (أى الرصاص المذاب) يوم القيامة » .

بـ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان
قلبه : لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع
عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه
في بيته » .

— ونصح صلوات الله وسلامه عليه اصحابه فقال
لهم : « لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابي شيئا ، فانى أحب
أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » .

— « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

— « ذرونى ما تركتكم فانما اهلك من كان قبلكم كثرة
سؤالهم وخلافهم على انبيائهم ان الله فرض فرائض

فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان
فلا تسألوا عنها » .

ولقد أدى تمسك المسلمين بتعاليم الاسلام في مجال
الامن الى انه لم يرد في تاريخ صدر الاسلام حوادث خيانة
أو تخاير مع العدو .



دروس عملية في الأمن من حياة النبي :

والدروس العملية التي يستطيع المسلمون ان يتعلموها
من النبي صلى الله عليه وسلم في مجال السرية والأمن أكثر
من ان تعد وتحصى :

● فلقد كان من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية
ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بدأ سرا ..

● ولما شاهد على رضى الله عنه النبي يصلى
هو وخديجة رضى الله عنها قال : يا محمد ما هذا ؟ قال :
دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسوله ، فأدعوك
الى الله وحده لا شريك له والى عبادته وأن تكفر باللات
والعزى .

فقال على : هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم فلست
بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب (أى أباه)

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كره أن يفشى سر الدين قبل أن يستعان أمره فقال له : يا على ، إذا لم تسلم فإتكم . فامتل على للأمر حتى جاء الرسول في الصباح التالي وأعلن إسلامه وكنتم ذلك عن أبيه ولم يظهره .

● وكلنا يعرف كيف خطط النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة وكيف نفذها وكيف طبقت قواعد السرية والأمن على أكمل الوجوه سواء في التخطيط أو في التنفيذ ، فكان ذلك من أهم أسباب نجاحها .



● وعن كعب بن مالك رضى الله عنه أنه قال : « ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها » (ليجعل الأمر سرا وليخدع العدو) (متفق عليه) ومن الأمثلة العملية في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد تأديب بني لحيان الذين غدروا بدعاة المسلمين — وكانوا ستة من كبار الصحابة — أظهر أنه يريد الشام ، وتحرك فعلا بقواته شمالا ، فلما اطمان إلى انتشار أخبار تحركه إلى الشمال باتجاه الشام ، عاد راجعا باتجاه مكة مسرعا في حركته حتى بلغ منازل بني لحيان ، لكن بني لحيان قروا إلى رعوس الجبال واستطاعوا النجاة بأرواحهم وأموالهم .



• وقد ذكرنا من قبل (١) قصة نعيم بن مسعود الغطفاني الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي: « انما انت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة » .

فقام نعيم بمهمته خير قيام ونجح في التفريق بين القوى الثلاثة التي تجمعت لقتال المسلمين (قريش والقبائل العربية ومنها غطفان قبيلته ويهود بنى قريظة) ، وكان مما ساعد على نجاح مهمته مراعاة مبدأ السرية والأمن :

فقد كتم النبي صلى الله عليه وسلم اسلام نعيم ، وكتم نعيم اسلامه فلم يعرف قومه ولا بنو قريظة ولا قريش عن اسلامه شيئاً ، فلو لم يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ السرية والأمن ، ولو لم يطبقه نعيم ، فهل كان بإمكان نعيم أن يقوم بهذا الدور الحاسم في تفرقة صفوف الأحزاب ونزع الثقة من نفوسهم ؟ .

* * *

• وقد ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب « الرسائل المكتوبة » مراعاة للسرية والأمن وحصرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن تحركات المسلمين وأهدافهم .

(١) انظر « النظرية الاسلامية في الحرب النفسية » الكتاب الاول من سلسلة نظريات العسكرية الاسلامية .

فقد بعث صلوات الله وسلامه عليه كما ذكرنا مفرزة استطلاعية بقيادة عبد الله بن جحش الأسدي ، وسلمه رسالة (مكتومة) تحتوى على تفاصيل المهمة من حيث الهدف والمكان وغير ذلك من التعليمات ، وأمره ألا يفتحها إلا بعد أن يسير يومين .

● وتعتبر غزوة الفتح من أروع الأمثلة التاريخية في مجال السرية والأمن والكرمان : أن أقرب المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحبه أبو بكر الصديق ، أول من آمن به في الإسلام ، كما أن عائشة بنت الصديق أبى بكر كانت أحب نسائه إليه (١) ومع ذلك كانت عائشة لا تفتش لأبيها شيئاً عن سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر الصديق وابنته عائشة لا يعلمان من أسرار رسول الله شيئاً .

فحين عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة دخل على زوجته عائشة وقال لها : « جهزينا وأخفى امرئ » وقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم خذ من قریش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة » .

(١) سئل النبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله ، أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قالوا : أمنا نعننى من الرجال ، قال : أبوها .

ودخل أبو بكر علي ابنه عائشة رضي الله عنها وهي تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تفعل تمحاً وسويقاً (المعروف بالمرزك) ودقيقاً ، فقال : يا عائشة أهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟ قالت : ما أدرى ، لعله يريد بني سليم ، لعله يريد ثقيفاً ، لعله يريد هوازن . فاستعجمت عليه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أردت سفراً قال : نعم . قل : أفأتجهز ؟ قال : نعم . قال : فأين تريد يا رسول الله ؟ قال : قرشياً وأخف ذلك يا أبا بكر ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز ، وأخفى عنهم الوجه (أى الاتجاه) الذي يريد . حتى كان هناك من يظن أنه يريد الشام ومن يظن أنه يريد هوازن .

ولقد احتوت غزوة الفتح على الكثير من الإجراءات الأمن ، وقد كن لهذه الإجراءات أكبر الأثر في تحقيق المفاجأة الإستراتيجية الكاملة (١) وفتح مكة بلا قتال .

(١) هي المفاجأة التي تنطوى على إخفاء نية الهجوم ووقته ومكانه وحجمه .

ارتباط المخابرات بالامن ومقاومة الجاسوسية

● المخابرات الاستراتيجية والمخابرات
التكتيكية .

● المخابرات في العسكرية الاسلامية .

١ — من اسباب القوة .

٢ — من مظاهر الحذر واليقظة .

٣ — توفر الانذار .

٤ — وقاية من الضرر والهلاك .

● صفات رجل المخابرات .

● أمثلة للمخابرات في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم .

● تعلم لفة العدو .

● استخدام الشفرة .

ارتباط المخابرات بالأمن ومقاومة الجاسوسية

لا شك في أن السعى للحصول على المعلومات عن العدو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمن ومقاومة الجاسوسية والوقاية من نشاط المخابرات المعادية بمختلف أشكاله ، وإن نجاح كل من المهتمين يعتمد على الأخرى بدرجة كبيرة .

فكما أن صيانة أسرار الدولة وحرمان العدو من كشفها ضرورة حيوية لسلامة الأمة وأمنها ، فإن الحصول على المعلومات عن العدو وعن أهدافه وقدراته وحركاته ضرورة حيوية أيضاً لسلامة الأمة وأمنها .

وقد اتفق علماء المخابرات والأمن في أن مستقبل الأمم يتوقف على دقة المعلومات التي تصل إليها مخابراتها وعلى التوفيق (١) في تفسير هذه المعلومات واستخلاص مدلولاتها

(١) اعترف جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكي بفشل المخابرات الأمريكية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقال في مؤتمر صحفي أن هذا أمر واضح ولا ينبغي لأحد أن يتساءل حوله . وقال شليزنجر أن الولايات المتحدة كان لديها تقارير للمخابرات تفيد بأن الحرب في الشرق الأوسط أصبحت وشيكة لكن عملاء المخابرات الإسرائيلية كانوا قد توصلوا الى نتيجة وهي أن اشتعال الحرب غير مرجح (جريدة الاهرام ٩/١٤ ١٩٧٥) .

وعلى تقديم كل ذلك لصانعى القرار فى الوقت المناسب . كما يتوقف مستقبلها على نجاحها فى المخابرات الوقائية او المخابرات المضادة . أى أن كيان الأمة وأمنها يتوقفان على مدى المعرفة التى تتوافر لديها ، وتوفر المعرفة المبكرة ضرورة حيوية لتجنب المفاجأة ، ولباشة عملية وضع الخطط على اسس سليمة .

والتاريخ حافل بالأمثلة والأدلة على خطورة المخابرات وأهميتها ، فلم يكن النجاح الساحق لهجوم اليابان على « بيرل هاربر » وتدمير جانب من الأسطول الأمريكى الا نتيجة للقصور فى المعرفة المبكرة لنوايا اليابان الحقيقية .

ويحتوى تقرير اللجنة التى شكلتها الحكومة الأمريكية عام ١٩٥٥ لدراسة وتقييم نشاط المخابرات الأمريكية والتى عرفت بلجنة هوفر كثيرا من العبر والدروس فى هذا المجال نذكر منها ما يلى : —



« لقد كان الهجوم المفاجئ على بيرل هاربر هو الذى خلق إدارة المخابرات ، كما أن التحقيق الذى جاء بعد الحرب أثبت أن انعدام وجود مخابرات قوية كان هو سبب الفشل الذى منيت به القوات العسكرية من حيث عدم حصولها على انذار حاسم وسريع تستطيع به عرقلة الهجوم اليابانى » .

المخابرات في المدرسة العسكرية الإسلامية

وترشد المدرسة العسكرية الإسلامية الى كل ما قدمناه
عن المخابرات من حيث أهميتها وانواعها كما يتضح مما يأتي :

* * *

١ - المخابرات من اسباب القوة :

أما عن أهمية المخابرات من حيث معرفة المعلومات عن
العدو حتى يأتي التخطيط على أساس سليم فذلك من أسباب
القوة ومظاهرها التي أمر الاسلام باعدادها في قوله تعالى :
« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

٢ - المخابرات مطلب أساسي للرباط :

وهي أساس الرباط الذي أمر الاسلام به في الآية
السابقة ، وفي قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون » .

والرباط والمرابطة حراسة ويقظة وتأهب لرد غنوان
العدو ، ولا يتم ذلك الا بمعرفة ما يدور على الجانب الآخر
(جانب العدو) .

٣ — المخابرات من مظاهر الحذر واليقظة :

وهى من مظاهر الحذر ودليل عليه لمنع العدو من المفاجأة وهو ما أمر به الاسلام فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم » .

وقوله تعالى : (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا) .

* * *

٤ — المخابرات توفر الانذار :

والمخابرات — بما توفره من معلومات عن نوايا العدو وتحركاته — توفر الانذار المبكر للقيادة لى تستعد وتتخذ اجراءات المواجهة اللازمة وتنفذ على العدو هدفه . يقول الله تعالى :

« ولا يذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

* * *

٥ — المخابرات وقاية من الضرر والهلاك :

والمخابرات — بما تؤديه من دور مزدوج بتوفير المعرفة عن العدو ومقاومة اعمال المخابرات المعادية — تحقق الوقاية للأمة والجيش من الهزيمة او الهلاك ولذلك فان اهمالها

(م ٦ — النظرية الاسلامية فى الاستطلاع)

أو التراخي في ممارستها إنما هو تعريض للأمة للتهلكة
وهو ما نهان الإسلام عنه في قوله تعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

صفات رجل المخابرات :

يقرر العلم العسكري أنه يتحتم توافر صفات وخصائص
معينة فيمن يتولى عملاً من أعمال المخابرات نذكر منها :

الذكاء — الفهم العميق — القدرة على التصرف — القدرة
على إصدار الحكم السليم — صفاء الرؤية — المرونة وسرعة
التحول من حال إلى حال — الثبات والاتزان في مواجهة أخطر
المواقف، واعقدها — حاسة حب الاستطلاع — القدرة على
كتبان المعلومات .. الخ .

ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم رجال مخابرات
سواء في المدينة أو في مكة أو في غيرها ، وكان سر اختيارهم
لهذه المهام اتصافهم بتلك الصفات التي ذكرناها ، ومن هؤلاء
حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه الذي اختاره الرسول
صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة ليكون عيناً له في
المنافقين في المدينة ، وذلك لتمتعهم بمزايا الكتمان الشديد ،
فلا يفشي سره لأحد ، وبحضور البديهة فلا يرتبك في المواقف

الجرجق ، وببتقديره العميق لأهمية صيانة الأسرار العسكرية عن الإعداء فلا يفشى نياته ونيات المسلمين وأهدافهم ، وبالدكاء الخارق وموهبة حب الاستطلاع .

وليس ادل على توفر صفات رجل المخابرات فيمن اختارهم النبي ليعملوا في هذا المجال مما يلي :

(أ) لم ترد في « تاريخ السيرة » حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجال مخابرات النبي .

(ب) كانت نيات الإعداء بالعدوان تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم في وقت مبكر يمكنه من اتخاذ إجراءات المواجهة بحسبما يقتضى الموقف .

(ج) لم يضع خطة لغزوة أو سرية دون أن يكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح عن العدو وعن الأرض والظروف المحيطة .



أمثلة للمخابرات في عهد النبي

● ومن أمثلة المخابرات التكتيكية أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد محلية في المدينة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين في السلم

والحرب على حد سواء ، فاختار مثلاً حذيفة بن اليمان العباسي
ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

* * *

● ومن أمثلة للمخابرات الاستراتيجية في عهد النبي أنه
كان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد خارج المدينة :

١. — في مكة (مركز قريش الرئيسي) وهي تبعد عن المدينة
بحوالى ٤٠٠ كيلو متر فكان همه العباسي ويشير بن
سفيان العتكي .

٢ — في القبائل العربية الأخرى في انحاء شبه الجزيرة
العربية منهم مثلاً عبس الله بن أبى حردد الأسلمي في
قبيلة هوازن .

٣ — في بلاد فارس .

٤ — في بلاد الروم (بيزنطة) .

● ومن الأداة العملية على يقظة هؤلاء ونشاطهم
ما يلي :

١ — قبل غزوة أحد أرسل العباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم (وكان من رجال مخابراته في المدينة) رسالة
يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتله وعن عدد قبوات

قريش ، فأسرع حامل رسالة العباس رضى الله عنه بإيصال تلك الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم (حتى أنه قطع المسافة بين مكة والمدينة المتورة في ثلاثة أيام) فلما قرأ أبى بن كعب الرسالة على النبي طلب الأبيوح بمضمونها لاحداً .

٢ - قبل غزوة الخندق التي عبا فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة كان النبي عليه الصلاة والسلام على علم بنوايا أعدائه (من خلال رجال مخابراته في مكة والقبائل العربية) وحفر المسلمون خندقاً حول المدينة كان مفاجأة للمشركين لما رأوه حتى قالوا : « والله أن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » .



وهذه الواقعة لا تدل على نجاح مخابرات النبي الاستراتيجية التي هزقته بنوايا أعدائه مبكراً فحسب ، بل تدل على عجز مخابرات الأعداء على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي معا وذلك على الرغم من أن حفر الخندق استغرق جوالى عشرين يوماً في المتوسط كانت كافية جداً لرجال المخابرات لكشفه والأعلام عنه . .

كما تدل الواقعة أيضاً على نجاح المخابرات الوقائية للمسلمين وعلى مدى كتمانهم لسر خططهم الحربية وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها .



وهذا ما عبر عنه خبير المخابرات والجاسوسية العالمي
 لاديسلاس فاراجو في قوله : « عندما قرر المكيون (قريش)
 أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والسلام نهائيا عبثوا ضده
 قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبي لأنه كان
 قد ترك في مكة عملاء اكفاء ابغوه بخطط اعدائه ، أما خصومه
 فلم يكن لهم عملاء عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون الى
 المدينة اذهلهم أن يجدوا خندقا وجدارا يحيطان بالمدينة تماما
 احاطة السوار بالمعصم حميا محمدا عليه الصلاة والسلام
 واتباعه من العدوان » (١) .



٣ — بعد فتح مكة قررت بعض القبائل العربية أن تغزو
 المسلمين قبل أن يغزوههم وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم
 نبأ تجمع هوازن وثقيف لمهاجمته فأرسل عبد الله بن أبي حرد
 الأسلمي ليأتيه بالمعلومات اللازمة وفي هذا قال ابن اسحاق :
 « لما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم
 عبد الله بن أبي حرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس ؟
 فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي
 حرد فدخل فيهم واقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد اجتمعوا له
 من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك
 (مالك بن عوف النصري قائد هوازن) وأمر هوازن ما هم عليه

(١) الجاسوسية بين الوقاية والعلاج — أحمد هاني .

ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
الخبر » .

ومن هذه المعلومات عرف النبي نوايا الاعداء ومكان
تجمعهم فقرر مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد
المسلمين .



تعلم لغة العدو :

من الضرورات الحيوية في مجال المخابرات والحرب
النفسية معرفة لغة العدو واجادتها سواء من حيث التحدث
بها أو الكتابة .

ولقد عني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر زيد بن
ثابت بتعلم لغة اليهود وفي هذا يقول زيد « أمرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال :
انني والله ما آمن يهود على كتابي » ثم يقول زيد « فوالله ما
مر بي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكت كتبت له اليهم
وأقرأ له كتبهم اليه » (١) .

وصدق من قال : « من عرف لغة قوم أمن شرهم » .

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم — تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد — ج ٤ .

استخدام الشفرة (١) :

في مجال المخابرات عادة ما تحول لغة الرسائل سواء الشفوية أو المكتوبة الى لغة أخرى تستخدم فيها الرموز بحيث لا يستطيع فهم مضمونها سوى مرسلها والرسلة اليه وهو ما يعرف باسم الشفرة .

واستخدام الشفرة أمر حيوي لاختفاء محتويات الرسائل عن الاعداء ، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف المتحاربة يضع لنفسه شفرة خاصة وفي الوقت نفسه يسعى جاهدا بكل الوسائل لكشف سر الشفرة التي يستخدمها الطرف الآخر (أى حل رموزها) ومن اجل ذلك فان الجيوش في العصر الحديث لا تستخدم شكلا واحدا من اشكال الشفرة لمدة طويلة بل تقوم بتغييرها من حين لآخر لا تعطى الفرصة الكافية

(١) الشفرة : تعبر عن أسلوب تحويل لغة الرسالة من لغة مفهومة الى لغة غير مفهومة يكون قد تم الاتفاق عليها وعلى رموزها بين المرسل والمرسل اليه مسبقا ، ولذلك يطلق عليها « رسالة شفرية » ، فاذا التقطها العدو أو وقعت في يده لا يستطيع فهمها الا اذا كان على علم برموز حل الشفرة (وتسمى مفتاح الشفرة) أو بعد محاولات مضيئة يقوم بها متخصصون في حلها ، وقد استحدثت في العصر الحديث وسائل الكترونية لهذا الغرض .

لإعدادها لكي يكشفوا رموزها حتى لقد يصل الأمر الى تغيير الشفرة عدة مرات في اليوم الواحد .



ولقد عني النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب الذي تبدو فكرته وأصحة تماما في الواقعة التالية :

في غزوة الخندق علم النبي صلى الله عليه وسلم ان يهود بنى قريظة قد نكثوا عهدهم الذي كان بينهم وبين المسلمين وذلك بعد أن أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش والقبائل العربية الأخرى .

وتخرج موقف المسلمين كثيرا — وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل — بعد أن نكث بنو قريظة عهدهم (وهم داخل المدينة) فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبر الى بنى قريظة ليقفوا على جلية الأمر ، وأمرهم بأن (يلحنوا) (١) بالقول حين يعودون ولا يفصحون في حالة تأكدهم من خبر نكث بنى قريظة للعهد .

ولقد كان سبب حرص الرسول على استخدام هذا

(١) في مختار الصحاح : لحن (بفتح اللام والحاء) له قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره . وبابه قطع .

الاستلوب من أساليب الشفرة هو خوفه على معنويات المسلمين من الانهيار ، وحرصه على كتمانته حتى يستكملوا إعداد الخندق وسائر استعداداتهم العسكرية قبل أن يعلمهم به .

ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم سمح بإذاعة هذا النبأ الخطير قبل أن يعد المسلمون كل متطلبات القتال لانهارت معنويات المسلمين .



الكتاب القادم ان شاء الله

النظرية الإسلامية

في

العقيدة العسكرية

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١١
١ - الاستطلاع الحربى	١٥
● سرية عبدالله بن جحش والظروف الاستراتيجية	
● فى شبه الجزيرة	١٧
● اركان النظرية الاسلامية فى الاستطلاع	٢١
● امثلة للاستطلاع الحربى فى عصر النبوة	٣٥
٢ - الامن ومقاومة الجاسوسية	٤١
● صيانة اسرار الدولة	٤٣
● دور اجهزة المخابرات	٤٤
● المخابرات الوقائية	٤٨
● الجاسوسية والجاسوس	٥٠

الموضوع

الصفحة

٣ - أركان النظرية الإسلامية في الأمن ومقاومة

الجاسوسية

٥٥

٥٩ ● غناية الاسلام بالامن

٦٠ ● الكلمة امانة

٦٢ ● كتمان الاسرار

٦٣ ● غرس وعى الامن بالتربية والتوعية

٦٤ ● الصمت

٦٥ ● كبح شهوة الكلام (الثثرة)

٦٦ ● النهى عن التطفل

٦٨ ● النهى عن الفضول

٧٠ ● دروس عملية من حياة الرسول

٤ - ارتباط المخابرات بالامن ومقاومة الجاسوسية

٧٩ ● المخابرات الاستراتيجية والمخابرات التكتيكية

٨٠ ● المخابرات فى المدرسة العسكرية الاسلامية

٨٢ ● صفات رجل المخابرات

الموضوع الصفحة

- أمثلة لامخبرات في عهد النبي ٨٣
- تعلم لغة العدو ٨٧
- استخدام الشفرة ٨٨

* * *

دارالعلوم للطباعة

القاهرة ٨، شارع متين صباوي (النصر العيني)

ت. ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨١/٢٣٧٧

الترقيم الدولي : ٨ - ٧٨ - ٧٣٢٨ - ٩٧٧